

# لابد للوحدة من موقف ثوري ونضال يومي

لقد كان<sup>(١)</sup> الاتجاه الجديد الذي اتت به الحركة القومية التقدمية منذ حوالي عشرين عاما هو ذلك الدمج بين الثورة القومية والثورة الاجتماعية، بين الفكرة القومية والفكرة الانسانية، وعلى اساس هذا الفهم الجديد للحركة القومية قام النضال الشعبي الذي قاده الطليعة العربية، منذ عقدين من الزمن.

ولقد ادركت الطليعة بسبب ذلك ان العمل للوحدة صعب لا بد له من موقف ثوري ونضال يومي . ولقد كانت هذه الطليعة بالفعل ثورية في نظرتها وعملها عندما تخطت الحدود والفوارق الاقليمية وتخطت كل الصعوبات التي تعترض العمل العربي الموحد، فأقامت تنظيمها على النطاق العربي الشامل . وما تزال هذه الصعوبات تواجهها : فهذه الردة الانفصالية الناشئة عن فشل اول تجربة للوحدة ما هي الا صورة للمصاعب الضخمة التي تعترض التفكير والعمل الوحدويين ، لا سيما في الصف القومي التقدمي نفسه . اذ ان هذه الردة في احدى صورها تعبير عن التعب الذي ينال احيانا من بعض المناضلين المنادين بالاتجاه القومي التقدمي . عندما تبدو لهم المهمة وكأنها مستحيلة، بينما تجتذبهم سهولة النجاح اذا هم سلموا بالواقع

(١) جريدة البعث العدد ٤ ، آب ١٩٦٢ .

القطري .

على ان هذه الردة، وهذا اليأس الذي انتاب الكثيرين، لا يجوز ان ينسبنا الخطوات التي حققها الاتجاه القومي التقدمي منذ عشرين سنة حتى الآن، في طريق تذليل المصاعب وتقريب فكرة الوحدة من اذهان الجماهير الشعبية وحياتها، وادخال هذه الفكرة في صميم نضالها اليومي من اجل نيل حقوقها الاجتماعية .

لقد اعترف الحزب الشيوعي لاول مرة عام ١٩٥٦، في بيان نشره، بالوحدة العربية كتيار تقدمي شعبي . على انه قال في ذلك البيان مستدركا ان هذه الوحدة من صنع التطور التاريخي ولا فضل فيها للحزب او هيئة او افراد . ذلك لان الحزب الشيوعي كان دوماً في سورية، وفي باقي الاقطار العربية، متجاهلا كل التجاهل فكرة الوحدة والنضال من اجلها وكونها مطلباً شعبياً . وكان يشتبه بكل دعوة للوحدة ويصنفها ضمن الدعوات والمشاريع الاستعمارية . حتى اذا جابهه الواقع القومي القوي لم يجد بدا من الاعتراف به .

وهنا نستطيع ان نسأل الحزب الشيوعي : ما عسى ان يكون عليه مصير الوحدة العربية فيما لو وقعت سائر الاحزاب والهيئات والافراد من الوحدة منذ عشرات السنين موقفه هومنها؟ هل كان التطور التاريخي قادرا ان يقود حتما الى تكوين هذا التيار القوي دون اسهام الاحزاب ورجال الفكر وتوجيههم وقيادتهم للنضال الوجدوي؟ وهناك في قلب الصف القومي التقدمي منطلق يستخف بالوحدة العربية وكأنه ينتظر لها التحقق بصورة آلية على يد التطور التاريخي دون مساهمة جدية ودون توضيحات ونضال من اجلها . لقد كان عمل بعض الأخذين بهذا المنطق مقتصر على رفض الاشكال والمشاريع غير السليمة للوحدة، اكثر منه عملا في سبيل نشر فكرة الوحدة وتغذية نضالها والتماس السبل العملية لتحقيقها .

ان التطور التاريخي لا يأتي بالوحدة عفوا ومجانا، بل لا بد لها من خلق وتغذية يومية وتوضيح وتثقيف وتنظيم . وهي اكثر الاهداف القومية احتياجا الى ذلك كله، نظرا لانها عمل على مستوى آخر غير المستوى المباشر الذي يواجهه الشعب العربي في اقطار وطنه المجزأ، عمل من فوق الحدود ومن فوق المشكلات المحلية

المباشرة . وما دامت كذلك فالمهم اذن هو التحقيق واخراجها من حيز النظر والفكر والاماني ، وتقريبها يوماً بعد يوم من امكانية التحقيق . وليست المشكلة الاساسية هي اتقاء شر المشاريع المزيفة والمشبوهة : فالاستعمار والرجعية وجميع اعداء الوحدة قد شغلوا العرب عشرات السنين ، وفي امكانهم ان يشغلوهم ايضاً سنين طويلة بالمشاريع المشبوهة والزائفة ، ليكون العمل العربي كله مقتصر على الرفض والسلبية ، اي على ابقاء التجزئة والضعف والاستغلال .

المسألة اذن مسألة صحة الاتجاه القومي التقدمي ، مسألة بقائه كحركة وحدوية ثورية في وجه الاتجاه التقدمي اللاقومي . ذلك ان الرجعية أعجزت من ان تكون للأمة العربية اتجاهاً فكرياً في مرحلة الانبعاث ، ولا يهتما أكثر من المحافظة على مصالحها واستغلالها تحت اي ستار فكري ، قومياً كان او غير قومي . المسألة هي التالية : هل يمكن ان تبقى في البلاد العربية حركة عربية تقدمية اشتراكية تتسع لأعمق حاجات الشعب العربي الى الثورة الاجتماعية ، والحرية والديمقراطية دون ان تكون حركة قومية أي وحدوية؟

ان الردة الانفصالية اليوم عبارة عن مصالح رجعية ومنطق شعوبي واقليمي . وان واجب الحركة التقدمية ان تعود الى جوهر الاتجاه الذي اختطته منذ البداية في مجال القومية العربية ، نعني التفاعل بين الثورة القومية والثورة الاجتماعية والعمل لهما عملاً مترابطاً .

ان الطليعة العربية التي قامت بعمل ثوري كبير عندما تلاقت وتوحدت منذ عشرين عاماً الى الان من فوق الحدود الاقليمية ومن فوق عقلية التجزئة ومصالحها . مطالبة اليوم بان ترفع عن الانسياق مع منطق الانفصالية ، لكيلا يتشوش وعي الشعب وتتزعزع ثقته عندما يرى الالتباس بين الرجعية والتقدمية ، ولكيلا تزيغ المعركة وتجزأ القوى النضالية . فالدفاع عن سلامة اتجاه الوحدة وعن مضمونها الديمقراطي في وجه تزييف الحكم الفردي البوليسي لها انما هو واجب مقدس . ولكن له طريقه المختلف عن طريق الرجعية والانفصالية ، وله ايضاً منطقاً الموضوعي ولهجته الرصينة ونظرة البعيد .

أب ١٩٦٢